

مقتل القيصر واهل بيته

لما وصلت العائلة القيصرية الى اكاترنبرج كما تقدم في مقتطف فبراير كانت السلطة فيها في يد مجلس بلاد اورال وهو مؤلف من ثلاثين عضواً. ويد المجلس الاجرائي (او التنفيذي) وهو مؤلف من اعضاء قليلين. ويد اللجنة التي تقاوم المضاربين والخارجين على الحكومة. وكان المرجع الاعلى لكل مجلس في موسكو ومنه تصدر الاوامر والنواهي مباشرة. وعند اللجنة جماعة كبيرة من الميادين لتضام اراضها اكثرهم من اسرى التسويين الامان ومن التت والصينيين وهم في الحقيقة جلادون عملهم قتل الذين يحكم عليهم بالقتل. ولجنة اكاترنبرج كانت من اقوى اللجان واقدر رجالها يورفسكي

لما رأى المجلس الاجرائي عطف انظراس على القيصر وطائنته اوجس شرفاً وصمم على قتل القيصر وطائنته وبعث بتلغراف الى موسكو يقول فيه : ذهب سيرومولوتوف (من اعضاء المجلس الاجرائي) الى موسكو لتدبير العمل حسب اوامر المركز فلاداعي للقلق . اقنا يورفسكي بدل ائديف واوقفنا موشكين وابدلنا الحرس الداخلي بغيره . . . وتاريخ هذا التلغراف ٤ يوليو

وفي ذلك اليوم اوقف ائديف وموشكين وأبدلا بيورفسكي وهو يهودي من اهالي اكاترنبرج فاحضر معه عشرة من الحرس كلهم تقريباً من اسرى التسويين الامان المنتخبين ليكونوا جلادين . وصار البيت الذي فيه القيصر في عهدة المجلس الاجرائي ومن ثم صارت حياة العائلة القيصرية عذاباً مستمراً وتقرر حيثئذ القضاء عليها . وطاد سيرومولوتوف من موسكو ومنه الاوامر اللازمة وكان يورفسكي قد اخذ في تدبير ما يلزم لذلك فكان يركب كل يوم الى ضواحي المدينة يبحث عن مكان يلقي اشلاء القتلى فيه ويخفي آثارها حتى اذا ماد سيرومولوتوف وجد كل شيء معداً

ويوم الاحد في ١٤ يوليو دعا يورفسكي كاهناً لاقامة الخدمة الدينية لعائلة القيصر حتى لا يشب عليه الروس بأنه قتل قيصرهم من غير ان يزوده بخدمة دينية . وفي مساء اليوم التالي امر رجلاً يثق به بقاء الثقة ان يأتيه باثني عشر

مسدداً من محلة الحرم ولما اتاه بها اخبره انه حكم على العائلة القيصرية بالاعدام ولا بد من اعدامها تلك الليلة

وهنا ننتقل الى التعميل الذي ذكره الكتبتن مكللاً في مجلة القرن التاسع عشر وقال انه مستخلص من شهادات كثيرين رأى بعضهم ما حدث مرأى العين وهم متفقون في كل الامور الجوهرية

في نحو الساعة الاولى بعد نصف الليل دخل يورثسكي غرفة القيصر وايقظته وقال له ان جنود الاعداء متعلم الى المدينة قبل الفجر فخير لك ولعائلتك ان تزلوا الى الدور الاسفل لانه قد تقع مناوشات في الشوارع ويحتمل ان يدخل بعض الرصاص من الكوى

فنهض القيصر من فراشه وجعل يتكلم مع يورثسكي ومع انقبضة كلاماً لم يسمع كلمة ولكن سمع منه قوله هل اقتربوا الى هذا الحد ثم شكر يورثسكي وقال له ليس الافضل ان تأخذ امتعتنا معنا فاجابة لا ولكن يحسن ان تأخذوا وساداتكم . قال ذلك ودخل غرفة البنات وقال لهن ما قاله لوالديهن ثم خرج ووقف في غرفة المائدة وكان فيها بعض الجنود وينادفهم في ايديهم ومعهم غيرهم من الذين لبوا طلبه وجاؤوا حتى يتولوا قتل طائلة القيصر اذا احجم الجنود عنه . ولحق الجنود القاطنون على حراسة البيت من الخارج ان في شيئاً غير حادي فدخلوه ليروا ما هو جار . ولما اتم القيصر وزوجته واولاده لبس ثيابهم خرجوا الى غرفة المائدة - خرج القيصر اولاً ثم امرأته ثم ابنته ثم بنته الاربع ثم الدكتور بوتكن والخادمة والخدام والطباخ وهم ١١ نفساً . وكان الضعف والتحول قد توليا القيصر حتى لا يكاد يعرف . وكان لابساً سقرة حريرة بلون الطاكي وبنطلوناً زرق مثل بنطلونات القرمسان وجزمة عالية الساق وهو حاسر الراس . وكانت زوجته قد قصت شعره وشعر ابها وقص البنات شعورهن على غزارتها وجهها تخلفاً من القمل وحشون بها موقداً مهجوراً . وقد وجدها الجنود البيض فيه لما دخلوا اكارنبرج وراها بعض اللواتي كن خادمات في البيت القيصري وعرفنها . وكان لتاتيانا كلب صغير غلمته على ساعدها . وكان لاختها كلب آخر والظاهر انه ادرك ما خبيته له ولبيده فرب قبل ذلك . وبعد زمن وجده ضابط من ضباط الجنرال فوكس وجاء به الى انكلترا فكان نصيبه خيراً من نصيب سيده

واله من منظر تنظر له المرائز . ولد يكاد يكون كسيحاً وامرأتان لا معين لهما واربع بنات على غاية الرقة والدعة يحق لمن ان يحسن من اجل البنات حتى في بلاد الروس المشهورة بجمال نساها . وكان يقال ان الثانية منهن تاتيانا ستكون ملكة الانكليز يوماً ما وقد كانت بارعة في آداب اللغة الروسية ولها فيها شعر حسن وكان لا بد للجميع من النزول في سلم مظلم الى الدور الاسفل فامسك واحد من الجنود مصباحاً ينير السلم ولكن لم يبادر احد غيره لمساعدة النازلين . وكانت عادة التقدم في السير متمكنة من اعضاء البيت القيصري فاتبعوها حتى في نزولهم الى ساحة الموت الرؤم . نزل اولاً القيصر وزوجته وها يرتجفان كأنهما ذاهبان الى امام ملك جبّار اعظم منهما . ثم جاء بعدها ابنتها تحمل اخنة الكبرى اولفا ثم اخواتها تاتيانا فاريا فاناستاسيا . ثم الباقون حسب درجاتهم وآخروهم الطباخ . ونزل بعدهم اناس من عالم آخر في مقدمتهم يورثكي السفاح طابس الوجه مشنول البال بما كان عازماً عليه من الفعل القطيع يده في جيبيه قابضة على المقدس ورجلاه تخطوان به الى مجزرة الارباء . وبعدة الجنود وكان عددهم قد زاد بمن انضم اليهم من الحرس . وهؤلاء وقفوا الى ان رأوا ان الغرض من حراستهم قد اتقضى ومنهم الشهود الذين شهدوا بما رأوا

ولما وصل النازلون الى الدار المنفلت سار يورثكي امامهم الى باب الغرفة المعدة للفتك بهم فدخلها القيصر حاملاً ابنة ثم القيصرة فناتها فالدكتور بوتكين فاطمدم . وقيل لهم حينئذ انة ستأتي المركبات لركوبهم والذهاب بهم . ولما رأوا ان اقامتهم في تلك الغرفة ستطول طلبوا كراسي يجلسون عليها فجلسوا بثلاثة كراسي لخمس ولي العهد على كرسي في وسط الغرفة وابوه على كرسي آخر الى يساره ووقف الدكتور بوتكين الى يمينه وجلست امة قرب الحائط ووقفت واحدة من بناتها وراءها ووقفت اخواتها البقيات مستندات الى الحائط . ثم دخل يورثكي بفضة ومعه سبعة من التسمين الالمان واثنان من اصداقائه والمسدسات في ايديهم وليس بينهم جندي روسي وكان وجه يورثكي قد امتقع فاخرج ورقة من جيبه امسكها بيسراه والمسدس في يمينه وجعل يقرأها بسرعة . وهي امر من جمهورية السوفيات بقتل القيصر وكل اهل بيته . وقد سمى في هذا الامر بنقولاً رومانوف السفاح . وللحال صلت القيصرة على وجهها وركعت وركع الباقون معها الا

القيصر فأنه بقي واقفاً وتقدم الى امام زوجته واولاده كأنه أراد ان يقيم بيته وقال كلاماً لم يُسمع لان يورثكي كان لا يزال يقرأ الأمر بصوت جهوري تردد صدهُ جدران الغرفة . فأدرك ذلك اللعين ان القيصر يريد ان يقول اقتلوني انا ولكن اغفوا عن زوجتي واولادي . وخاف ان يؤثر كلامه في الجنود فرفع يدهُ بأسرع من البرق واطلق الرصاص على القيصر فأصاب رأسه فوق لا ييدي حراكاً وكان ذلك اشارة الى الجنود فلم تمض خمس دقائق حتى امسى الجميع جنناً هامدة ما عدا تاتيانا وخادمتها فان تاتيانا جرحت وانغمي عليها (١) ووقفت كلها فوقها ينسج الى ان قتله واحد من الجنود . ثم افاق وتصرخ امرأة اماماً فهمم عليها اولئك الوحوش وطعنوها بحراب بنادقهم وشجوا رأسها بقنادقها والخادمة جعلت تنقي الرصاص برسادة في يدها وهي تهرب من جهة الى اخرى الى ان سقطت قتيلة . والذين كانوا واقفين امام الباب وشاهدوا ذلك المنظر الفظيع تعذر عليهم وصفه لفظاعته وسقطت المصابيح من ايديهم فالتهمت وامتلأ المكان دخاناً اصفر يتخللهُ وميض بارود البنادق . وظهر للرأين كأن الجنود جنوا من الفيض وسكروا من الدم فجعلوا يطعنون القتلى ويفضخون جماجمهم (٢) . قال واحد من الرأين ان اثنظر بلغ في فظاعته مبلغاً تجيش له النفس حتى كدت انمضي على واضطرت ان ابعد واستنشق الهواء

وكان الرصاص يصيب الجدران ويرتد منها فأصابت رصاصة منه يد يورثكي اليسرى وقطعت ثلاثاً من اظفارها فتقدم واحد من الجنود وربط يدهُ بحنديله وكان ذلك قبلما افاق تاتيانا كما تقدم . والارض خشب وقد وجدت فيها آثار سبع عشرة طعنة ووجدت في الجدران ست عشرة رصاصة ووجدت في الارض رصاصات اخرى والظاهر ان بعضها خرقت الاجسام قبلما خرقت الارض او غارت في الجدران

واني حينئذٍ بالملاآت من القرش وامت بها الجثث وحملت واخرجت من باب المطبخ الى المركبة (لوري) القاعة امامه في انتظارها وكان امام باب الدار اربع مركبات اخرى (٣) . والمركبة التي وضعت فيها الجثث وضعت فيها ايضا الوسائد

(١) اما الدكتور جيار فيقول ان التي جرحت وانغمي عليها هي اناسنيا لا تاتيانا

(٢) فضخ الجعبة كسرهما (٣) وكلها من نوع الاتوموبيل

المطخعة بالدم وجثة الكلب حتى لا يبقى في البيت اثر لهذه النفايات . وكان يورفسكي يعلم خطارة الجريمة التي اقدم عليها ولذلك طلب من اعضاء المجلس الاجرائي ان يعضوا كلهم الامر بقتل القيصر واهل بيته واخذ هذا الامر ييدهم الى موسكو واطلع لين عليه فنظر اليه ونهأف (ضحك ضحكة الاستخفاف) على جاري طادته . وكان يورفسكي يعلم انه من شعب يكرهه أكثر الروس وان حولة مئة مليون وكل واحد منهم يجب قتل القيصر جريمة دينية كما هو جريمة سياسية ولذلك قال قبلما ارتكب ما ارتكب انه سيلاشي جثث القتلى حتى لا يبقى لها اثر . فطلب من مدير المهات ان يرسل اليه خمس مركبات من نوع اللوري وبديلين من البترول واشترى هو مقداراً كبيراً من الحامض الكبريتيك (زيت الزاج) لكي يحصل ما لا تقدر النار على حرقه من جثث القتلى ومع ذلك لم يستطع ان يلاشي تلك الجثث ويحس آثارها

وبينما كانت الجثث تنقل الى المركبة كان هو مهتماً بتنظيف اصابعه وربطها وكان جرح يده واضطراب افكاره قد اثرا فيه تأثيراً شديداً يوجب عليه تطلب الراحة فالح عليه اعوانه لكي يذهب الى بيته اما هو فاصر على الذهاب مع المركبات والوقوف بنفسه على كيفية ملاشاة الجثث وحو آثارها حتى لا يبقى شيء منها شاهداً عليه . وجعل يقسم الاقسام المقلظة ان لا بد له من انعام صعلو الى آخره وانه لا يستطيع ان يوكلة الى احد لانه لا يثق باحد

وقد اختلفت اقوال الشهود في الساعة التي سارت فيها المركبات والاكثرون على انها الساعة الثالثة بعد نصف الليل والمؤكد ان يورفسكي واربعة من رفاقه ساروا فيها ومعهم جماعة من الجنود . ولم يكن في الشوارع احد حيثئذ غير الحراس وكان هؤلاء الحراس قد أمروا ان لا يدعوا احداً يسير في الشوارع او يخرج من بيته وان يقتلوا كل من يخالفهم

ولما وصلت المركبات الى المكان المعد في الغابات نزل الجنود ووقفوا حولة كالحراس على نحو نصف كيلومتر لكي يمنعوا كل احد من الدومنة . واتفق ان رجلا من سكان القرى المجاورة كان آتياً الى اكاترنبرج فراه الجنود في اثناء الطريق فوقفوه ومنعوه من السير ومن الرجوع الى بيته ايضاً ولكن لما ابدوا عنه حاد نلى بيته واخبر اهل القرية بما رأى فخرج كل من كان جريئاً

منهم وطاقوا في الغابة الى ان وصلوا الى الحراس خافوا ونكسوا على اعقابهم
 راجعين الى قريتهم فوقع الرعب في القرية لان اهلها كانوا قد آووا ضابطاً
 من جنود القيصر وتعرضوا للمقاب الشديد وكان مراد هذا الضابط ان يتصل
 بعائلة القيصر فخافوا ان يكون القصد من هذه الحركة القبض عليه وطلبوا منه
 ان ينادر قريتهم وينجو بنفسه . فاقنهم انه لو كان هو المقصود لانت الجنود
 الى القرية نواً ولكنها لم تفعل بل عرجت الى جهة اخرى . فسكتوا عنه لكنهم
 بقوا خائفين موجسين شراً يرقون ما يحدث . ثم رأوا ناراً اضطربت في الغابة
 وعلا طهبها في الجو فأخذتهم الظنون والهواجس وحسب بعضهم ان البشفاك
 يضحون ضحايا بشرية لمعبوداتهم

ومضى اليوم الاول والثاني والثالث والجنود في الغابة وقلق اهل القرية يزيد
 وهم لا يجرون ان يفعلوا شيئاً واخيراً جاءهم واحد وقال لهم ان الحمر ذهبوا كلهم
 فضى الضابط وجماعة من اهل القرية الى حيث رآهم الرجل الاول فوجدوا هناك
 طريقاً مهتدة حديثاً الى قلب الغابة فساروا فيها الى ان وصلوا الى بقعة فيها كرمة
 كبيرة من الرماد حوطاً بقايا الواح واعصان وقطع حطب محروقة لجعل الضابط
 يذري الرماد بعصاه ورفاقه يبحثون فيه فوجدوا اولاً صليباً مائلياً مرصعاً
 بمجارة خضراء . فلما رآه الضابط امتنع لانه يعلم ان هذا الصليب وسام لا
 يحق لاحد ان يتقلده الا اذا كان من البيت القيصري وفي مقام رفيع جداً . فصرخ
 عفوك اللهم احرقوه حياً . وقبل ان يتالك نفسه كان الذين معه قد وجدوا
 اشياء كثيرة مما يختص بملابس النساء مثل اضلاع المشدات والابازيم والصرايح
 والازرار والخرز ونحو ذلك مما يدل ان الذين حرقوا هنا رجال ونساء . فرفع
 نظره الى السماء وقال ارحنا يا رب احرقوا المائة كلها

واتضح اخيراً من الآثار التي وجدت وهي كثيرة جداً ومن شهادة الشهود
 انه لما وصل بورنسكي ورفاقه الى تلك البقعة قطعوا الحث ووضعوها على
 الحطب وصبوا عليها البترول واضرموا فيها النار فاحترقت وما لم يحترق من
 العظام صبوا عليه الحامض الكبريتيك حتى انحل . واقاموا هناك ثلاثة ايام يذابون
 في هذا العمل فصبوا اكثر من ٣٠٠ لتر من البترول و٧٥ كيلو غراماً من الحامض
 الكبريتيك ولما انتهوا من عملهم جموا كل ما استطاعوا جمعه من بقايا النار

وطرحوه في بئر معدن هناك. وقد شهد شاهدان يورثكي كان يخاف من قيام اهل المدينة عليه قبلما يتم عمله فاقام الحراس على البيت الذي كان فيه القيصر ليومهم ان العائلة القيصرية لا تزال فيه. ولما اتم عمله نشر في المدينة منشوراً خلاصته انه علم ان جنود التشك سلواك تهدد اكاتونبرج عاصمة اورال فينجو السفاح المتوج (يعني القيصر) من يد القضاء لانه كشفت مؤامرة لانتفاذه ولذلك حكم مجلس البلاد ان تنفذ ارادة الشعب بقتل بقولا رومانوف القيصر السابق الذي سفك دماء كثيرين من الشعب وهذا الحكم عليه في السابع عشر من الشهر اما عائلة رومانوف فنقلت الى مكان امين والحقيقة ان القيصر لم يحكم عليه بل لم يحاكم وقتل هو واطالته كما تقدم

لشرنا منذ عهد غير بعيد تاريخ بلاد الروس ووصفنا انواع العقاب التي كان يعاقب بها الناس وكلها مما تقشر منه الابدان واي عقاب اقطع من ان يسلخ جلد الانسان وهو حي. ولكن سلخ الجلد كان من العقوبات الشائعة عندهم حينئذ. وكنا نظن ان الاديان والعلوم والتقنون التي انتشرت في هذا العصر ازال الطباع الوحشية من الناس فاذا طباع السوء محبوبون فتمت غشاء العيران فلما ثارت هذه الحرب مزقت الغشاء عن نفوس كثيرين فامسوا كالوحوش الضارية. فان يورثكي هذا من الدين اذا دخلت بيوتهم ورأيت اولادهم حسبهم من ارقى الاربين. ولعل اعوانة كانوا مثله لكن تعليم اولادهم اللغات والتقنون وتآتيت بيوتهم بما يدل على الرفاهة والترف وادعاهم انهم يعملون لمصلحة الشعب كل ذلك لم يغير طباع السوء المفروسة في نفوسهم فثار ثاؤها حالما اطلق لها العنان

والناظر في شؤون الاجتماع قد يقول في نفسه ترى ايتمتع ان تفضي هذه المورقات الى نفع كبير يحو آثارها وينسي الناس تذكاريها. والجواب ان تاريخ البشر بل تاريخ كل الاحياء جار على سن واحد ترى فيه تحليلاً وتركيباً موتاً وحياة. تدفن حبة الحنطة في الارض فيبعث منها نبات كثير السابل والحبوب. ثارت الثورة الفرنسية بشظائرها فدكت صروح الاستبداد وامتت الشعوب بالحكم الدستوري. فان كان مستقبل بلاد الروس همراة ارق من همراة السابق يقوم على ما حل فيها من الخراب وما سفك من دماء الأبرياء فتكون قد جرت على هذا التاموس العام فاموس الخراب قبل البناء ويحمد اهلياً عند الصباح سرام